

الإنسان
والحيوات الثلاث
الدنيا – البرزخ – الآخرة

جمع و تصنيف
محمد شوقي القشاوي

مقدمة

الحياة والموت حقيقة واضحة أمام أعين الجميع، ورغم الاختلاف بين المعتقدات حول نشأة الحياة فإن المعتقد الإسلامي أن الله هو خالق كل شيء هو يحيي ويميت، ومن الثابت أن الموت هو الحقيقة التي لا جدال فيها، ويؤمن بها الجميع - المسلمون وغيرهم - رغم اختلاف المعتقدات والأفكار والفلسفات المنتشرة في عالمنا.

وفي هذه الورقة التي بين يدي القارئ سأعرض مفهوم الحياة والموت من وجهة النظر الإسلامية مستعينا بما ورد - فقط - من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وما تناولته كتب التفسير وشروح الأحاديث، وذلك بهدف توضيح حقيقة الحياة في الفكر الإسلامي، وكيف ينظر إليها المسلمون؛ وكل ذلك كان له آثار كبيرة على سلوكيات المسلمين وانتقل إلى عاداتهم وأفكارهم نتيجةً للإيمان الشديد بها.

الحياة الدنيا التي نعيشها الآن حياة، والموت حياتان أخريان؛ لهما عالمان يختلفان، كما لنا عالمان الذي نحياه الآن.

سأتناول ثلاث حيوات هي الحياة الدنيا والبرزخ والآخرة.

وقد فضلت أن أعرض في بداية الورقة فصلاً عن الحياة الدنيا ونظرة الإسلام لها وحال الإنسان في آخر حياته قبل الموت، فتناولت قضية خلق آدم ومراحل الخلق؛ وذلك لما لها من أهمية في كون الإنسان مخلوقاً من طين وهو الجسد، وكيف أن الروح المحركة لهذا الجسد - وهي من روح الله لها دور كبير في رحلة الإنسان في حيواته الثلاث.

ثم تناولت بداية من ذرية آدم والتركيز على أول حالة قتل أو موت في تاريخ البشرية، وكيف بدأت فكرة الدفن.

ثم تسلسلت الموضوعات كأحوال الاحتضار وحضور الملائكة، وملك الموت وأحوال المحتضرين عند الموت ثم قضية غسل الميت وتكفينه ثم دفنه، ثم جاء الفصل الثاني عن الحياة الثانية وهي

حياة البرزخ، بداية من عودة الروح إلى الجسد، وسؤال المَلَكَيْنِ وحال المؤمن والكافر أو العاصي بعد لقاء المَلَكَيْنِ ثم نعيم القبر وعذابه، وبعد ذلك انتقلت إلى الفصل الثالث وهو الانتقال إلى الحياة الثالثة؛ وهي الحياة الآخرة التي تبدأ بالبعث وقيام المخلوقات للحساب ومشاهد القيامة ثم أخذ الكتاب ومعرفة مصير كل شخص، وبعد ذلك كان الحديث عن الجنة ونعيمها، وأحوال أهلها فيها ثم الحديث عن النار وأهلها وأحوالهم فيها.

أود الإشارة إلى أنني اقتصرته على ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإن كان بعض هذه الأحاديث تحتاج إلى شروح معاني الكثير من كلماتها ولاسيما إذا كانت ستتوهم لما لها من أبعاد لغوية وثقافية.
والله الموفق..

الفصل الأول

في الفكر الإسلامي يمر الإنسان بثلاث حيوات:

الحياة الأولى: الحياة الدنيا وهي التي نعيشها الآن.

الحياة الثانية: حياة البرزخ وهي التي تبدأ بعد الموت، وقبل انتهاء الحياة على الأرض.

الحياة الثالثة: الحياة الآخرة بعد الحساب فتكون إلى الجنة أو إلى النار.

وقبل أن أفصل الكلام عن هذه الحيوانات أود أن أوضح أولاً كيف خلق الله الإنسان، وما علاقة وجوده على الأرض.

خلق الإنسان

خلق الله تعالى آدم ليكون خليفة في الأرض، قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" سورة البقرة ٣٠

وقد خلق الله آدم من طين، قال تعالى: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ {٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢} سورة ص.

فإيمان المسلمين أن الله خلق آدم بطريقة خاصة، وليس كما يقال في نظرية النشوء والارتقاء لدارون.

وقد مر خلق آدم بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: المرحلة الترابية

قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} ٢٠ – سورة الروم

وفي حديث يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضتها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسَّهْلُ، والحَزْنُ، والخبيث، والطيب".

الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود
الصفحة أو الرقم: 4693 | خلاصة حكم المحدث: صحيح

المرحلة الثانية: مرحلة الطين

مزج الله هذا التراب بالماء حتى أصبح طيناً، وهذا قول ربنا في سورة الصافات (١١): {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ}.

المرحلة الثالثة: مرحلة الصلصال

هذا الطين ترك مدة حتى جف وأصبح كالصلصال، وهذا قول ربنا في سورة الرحمن (١٤)

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}

النفخ في الروح

إن الله - عزَّ وجلَّ - نفخ في جسد آدم عليه السلام من روحه ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجوداً تكريمياً.

قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} {٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} {٧٢} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} {٧٣} سورة ص.

شهادة ذرية آدم لله بالخلق

روى مالك والترمذي وأبو داود عن مسلم بن يسار قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" سورة الأعراف: ١٧٢.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به. (تفسير الطبري)

فطرة الإنسان

يولد المولود من بني آدم على الفطرة، هذا معناه أنه يولد مسلماً على فطرة الله الذي فطر عليها الناس. روى البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يَمَجِّسَانِهِ".

خلق حواء من ضلع آدم

خلق الله حواء من ضلع آدم الأيسر فجعلها زوجاً له وعاشا في الجنة إلى أن أغواهما الشيطان فأنزلهما الله إلى الأرض؛ ومن هنا عاد الإنسان إلى المكان الذي خلق الله جسده منه؛ ولذلك عندما يموت الإنسان يعود الجسد إلى الأرض، وتخرج الروح إلى الله لأن روح الإنسان من روح الله.

نسل آدم والولادة

ثم بدأ نسل آدم من علاقة الزواج بين الذكر والأنثى.

ومن أولاد آدم كان الزواج من ذكر البطن الأولى من أنثى البطن الثانية وأنثى البطن الأولى من ذكر البطن الثانية، وهكذا حتى كثر بنو آدم.

أول حادثة وفاة / قتل في البشرية

حدثت أول حالة وفاة بشرية عندما قتل قابيل أخاه هابيل

قال الله تعالى: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)" سورة المائدة

وحار في دفنه إلى أن جاءه الغراب يحمل غرابا ميتا فدفنه؛ فتعلم قابيل كيفية الدفن فدفن أخاه.

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) سورة المائدة

وهكذا بدأ بنو آدم رحلة الحياة الدنيا على الأرض وتعلموا فكرة الحياة والموت.

نظرة الإسلام إلى الدنيا

تزيين الحياة الدنيا

الله جعل الحياة الدنيا لهواً ولعباً، والعرب تطلق على المرأة والولد والنكاح والمال "لهواً" كما ذكره

ابن منظور، وكل هذه الأمور من مكونات الحياة الدنيا، بل من شهواتها كما قال - تعالى -:

"رِيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ" (آل عمران: من الآية ١٤).

ورد لفظ (الدنيا) في القرآن الكريم في سياقات ثلاثة: أولها: التحذير من الدنيا. ثانيها: تفضيل

الآخرة على الدنيا. ثالثها: الأخذ بنصيب من الدنيا، مع جعل الآخرة هي المقصد الأهم والأول.

قال الله سبحانه في وصف هذه الحياة وحقيقتها: {واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه

من السماء فاختلف به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح} (الكهف: ٤٥). فالحياة في

حقيقتها - بحسب المثل القرآني - أشبه بالدورة الزراعية، تبدأ بقطرات من الماء، ثم تنتهي بالهشيم من الزرع، الذي تطير به الرياح، فتذروه هنا وهناك، كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

قصر هذه الحياة الدنيا وتفاهتها، وتضائلها مقارنة بالحياة الآخرة، التي تعتبر - في الإسلام - الحياة الحقيقية، فيقول مثلاً: {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} (الحديد: ٢٠).

موقف الناس من الدنيا

وبين موقف الناس من الدنيا، بأنهم يفرحون بها، مع أن حقيقتها لا تستدعي هذا الفرح، كونها مجرد متاع سُرعان ما يَفْنَى وَيَبْلَى، هذا يستدعي عدم التعلق بها، والأخذ بالحذر والתיقظ منها، قال تعالى: {وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع} (الرعد: ٢٦).

التحذير من الدنيا

حذر سبحانه عباده من الانجرار وراء مفاتن الدنيا الزائفة يقول سبحانه في هذا الصدد: لَمَنْ كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفِّ إِلَيْهِمْ أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْحَسُونَ * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون} (هود: ١٥). والمُرَاد هنا، أن من كان طالباً منافع الحياة ولاهتاً وراء زينتها، فإن الله يُمد له في ذلك، ويعطيه إياها، استدراجاً له، ثم تكون عاقبته الخُسْران في الآخرة.

الدار الآخرة هي الدار الحقيقية الباقية، من ذلك قوله تعالى: {وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خيرٌ للذين يتقون} (الأنعام: ٣٢)، فالدار الآخرة عند النظر الدقيق إليها هي الخير الحقيقي الباقي للإنسان، وما عداها من خيرات الدنيا سرعان ما تزول، قال تعالى: {وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون} (القصص: ٦٠).

التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة

فالقُرآن الكريم يثني على من يجمع بين أمرى الدنيا والآخرة، فيقول: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾ (البقرة: ٢٠١)، ويقول على لسان نبي الله موسى عليه السلام: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ (الأعراف: ١٥٦)، ويمدح سبحانه خليله إبراهيم عليه السلام، فيقول: ﴿وآتيناها في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (النحل: ١٢٢).

يقول سبحانه: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص: ٧٧).
وفي الأحاديث

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل، كانت في النساء) رواه مسلم.

وعن مسهر بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الدنيا ملعونة ملعون من فيها إلا ذكر الله وما وآله وعالم أو متعلم) رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني.
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

قضية الموت

يقول الله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ط ١٨٥ آل عمران

كل نفس ستموت وهذه هي الحقيقة الواضحة لكل البشر، ولن يبقى حيًّا إلا الله فقط.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. الرحمن ٢٦/٢٧

لحظة الموت

فترة الاحتضار: هي الفترة التي يستعد فيها جسد الإنسان لخروج الروح (للموت) وذلك إن كان كبيرًا في السن، أما الموت بأحوال أخرى وبأسباب مختلفة ففترتها تختلف حسب سبب الوفات، ولكنها جميعًا تشترك في فترة الاحتضار؛ وهي خروج الروح من الجسد. (تعددت الأسباب والموت واحد).

يصبح الإنسان مرتبًا ومشوش الذهن، وهذه المرحلة هي التي تسمى سكرات الموت. يتصرف بأفعال بين النوم واليقظة والهلوسة ويغيب أحيانًا عن الوعي ويعود مرة أخرى.

حضور ملك الموت

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)﴾. السجدة

يحضر ملك الموت ومعه أعوانه من الملائكة، يقول الله تعالى:

" حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّنْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (61) الأنعام

قال القرطبي: "قوله تعالى: (توفته رسلنا) المراد: أعوان ملك الموت، قاله ابن عباس وغيره. ويروى أنهم يسألون الروح من الجسد حتى إذا كان عند قبضها، قبضها ملك الموت.

خروج الروح يتبعها البصر

عندما يُخْرِجُ مَلَكُ الْمَوْتِ الرُّوحَ يَشْخَصُ الْبَصْرُ نَاحِيَةَ الرُّوحِ

حديث: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا فُيِضَ تَبِعَهُ الْبَصْرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَائِبِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ". صحيح مسلم.

حالات الموتى وموقف الملائكة

• - الضرب لإخراج الروح : في بعض الحالات تضرب الملائكة المحتضر لكي تخرج الروح لأنها ترى مصيرها السيء فلا تريد أن تخرج .

يقول تعالى: وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۗ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93) الأنعام

قال المفسرون: والملائكة باسطو أيديهم (أي: بالضرب) كما قال تعالى: "ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (الأنفال: ٥٠ - ولهذا قال: والملائكة باسطو أيديهم (أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم)

وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتنفرك روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تُخْرِجَ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ.

*- أما المؤمن فيقعد ملك الموت عند رأس المحتضر ويقول: " أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج كما تسيل القطرة من في السماء".

وصول الروح إلى الحلق قبل خروجها

ما يحدث للميت حال موته لا نشاهده ولا نراه، وإن كنا نرى آثاره، وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن حال المحتضر فقال: "فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُقُومَ - وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ - وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ " الواقعة: ٨٣-٨٥: [والمتحدث عنه في الآية الروح عندما تبلغ الحلقوم في حال الاحتضار، ومن حوله ينظرون إلى ما يعانیه من سكرات الموت، وإن كانوا لا يرون ملائكة الرحمن التي تسلُّ روحه، قال تعالى: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ" الواقعة: ٨٥ كما قال تعالى: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ" الأنعام ٦١.

وقال في الآية الأخرى: "كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ" القيامة: ٢٦-٣٠ [والتي تبلغ التراقي هي الروح، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق. (2)

تخرج الروح تدريجيا من القدمين إلى الركبتين ثم تصل إلى الحلقوم، وبعدها يستلمها ملك الموت ويصعد بها إلى السماء، قال تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي) [الفجر: ٢٧-٣٠]، قال تعالى: (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) [الأعراف: ٤٠].

البشرى بالمغفرة للمؤمن والغضب والعذاب للكافر

هذا قد صرحت به نصوص كثيرة في كتاب الله، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ"فصلت: ٣٠-٣٢.

تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه

بعد خروج الروح يوجب الإسلام تغسيل الميت بطريقة خاصة وهي كما يلي:

- ١- تجريد الميت من ثيابه.
- ٢- يجب ستر عورة الميت عند الشروع في غسله، ولا يجوز النظر إلى عورته.
- ٣- يُشْرَعُ أَنْ يَعْصَرَ الْغَاسِلُ بَطْنَ الْمَيِّتِ عَصْرًا رَفِيقًا، ثُمَّ يَلْفَ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً فَيُنْجِيهِ بِهَا.
- ٤- لَا تَجِبُ النِّيَّةُ فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ، لَوْ نَسِيَ الْغَاسِلُ النِّيَّةَ قَبْلَ الْغَسْلِ فَالْغَسْلُ صَحِيحٌ.
- ٥- يُسْتَحَبُّ أَنْ يَمْسَحَ الْغَاسِلُ أَسْنَانَ الْمَيِّتِ وَمِنْخَرِيهِ.
- ٦- يُسَنُّ أَنْ يُوضَعَ الْغَاسِلُ الْمَيِّتِ فِي أَوَّلِ غَسَلَاتِهِ؛ كَوْضْعِهِ حَدَثٍ،.
- ٧- يُغْسَلُ الْمَيِّتُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ.
- ٨- غَسْلُ جَمِيعِ بَدَنِ الْمَيِّتِ وَالتِّيَامُنُ فِيهِ.
- ٩- يُسَنُّ أَنْ يَجْعَلَ الْغَاسِلُ فِي الْغَسَلَةِ الْآخِرَةِ كَافُورًا.
- ١٠- يَسْتَحَبُّ الْوَتْرُ فِي تَغْسِيلِ الْمَيِّتِ.
- ١١- اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَقْلِيمِ أَظْفَارِ الْمَيِّتِ وَقَصِّ شَارِبِهِ.
- ١٢- يَحْرُمُ حَلْقُ شَعْرِ عَانَةِ الْمَيِّتِ.
- ١٣- يُسْتَحَبُّ أَنْ يُنَشَفَ الْمَيِّتُ بَعْدَ الْغُسْلِ.
- ١٤- التَّيْمُّمُ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَاءِ.
- ١٥- يُسْتَحَبُّ تَسْرِيحُ شَعْرِ الْمَيِّتِ، وَجَعْلُهُ ثَلَاثَ ضَفَائِرَ خَلْفَهَا.

تكفين الميت

بعد الانتهاء من غسل الميت يجب تكفينه، فالسنة أن يُكْفَنَ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضٍ، وَالْمَرْأَةُ تَكْفَنُ فِي خَمْسَةِ أَثْوَابٍ: إِزَارٍ وَخِمَارٍ وَقَمِيصٍ وَلِفَاقَتَيْنِ فَهَذَا هُوَ الْأَفْضَلُ.

الصلاة علي الميت

يتجمع أهله وأقاربه ومعارفه وعامة المسلمين للصلاة عليه، وهذه الصلاة اسمها صلاة الجنازة وهي تختلف عن الصلاة العادية؛ فلا يوجد فيها ركوع ولا سجود، وإنما هي أربع تكبيرات:

بعد التكبيرة الأولى قراءة الفاتحة

وبعد الثانية الصلاة على النبي (بصيغة التَّشَهُّدِ الثانية كما هي في الصلاة)

وبعد التكبيرة الثالثة الدعاء للميت

وبعد الرابعة الدعاء للمسلمين جميعاً أحياء وأموات.

دفن الميت

السنة في دفن أموات المسلمين، أن يحفر ويعمق القبر إلى السرة - سرة الرجل القائم ونحو ذلك- ويكون له لحد هذا هو الأفضل في جهته القبالية بقدر الميت، ثم يوضع الميت فيه على جنبه الأيمن، ويقول: باسم الله - عند وضعه- باسم الله وعلى ملة رسول الله، ثم ينصب عليه طوب اللّبن، ويسد الخلل حتى لا يدخل عليه التراب، ثم يهال عليه التراب، ويرفع القبر قدر شبر؛ حتى يعرف أنه قبر ولا يمتهن، هذا هو السنة ثم يرش بالماء ويوضع عليه الحصباء، وتوضع الأنصبة على طرفي القبر لبنة لبنة عند طرفيه؛ حتى يعرف أنه قبر. شرح ابن باز

الفصل الثاني

الحياة الثانية بعد الموت

حياة البرزخ وكيف يكون القبر

إن الرحلة إلى الدار الآخرة تبدأ بالموت وتنتهي إما إلى الجنة أو إلى النار؛ فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

حياة البرزخ:

إن حياة البرزخ من الأمور الغيبية التي لا يعلم طبيعتها إلا الله سبحانه وتعالى، فهي سرٌّ من أسرار الحياة الآخرة.

معنى البرزخ:

البرزخ لغةً: هو ما بين كل شيئين، بحيث يكون هو الفاصل والحاجز بينهما، ومن هنا يقال للميت في قبره إنه في حياة البرزخ؛ لأنه انتقل إلى مرحلة بين الدنيا والآخرة.

حياة البرزخ في الاصطلاح هي: الفترة الفاصلة بين الدنيا والآخرة، ولهذه المرحلة عالمٌ خاص مختلفٌ عن الحياة الدنيا وعن الآخرة، يردُّ عليها الناس جميعًا بعد الموت.

وقيل إنَّ حياة البرزخ هي: الحاجز الذي يحجز بين البشر وبين الرجوع إلى الدنيا أو الانتقال إلى الآخرة، حيث يظلُّون في تلك الحياة إلى أن يُبعثوا من قبورهم يوم القيامة للعرض والحساب، وتنتهي هذه المرحلة بالنفخ في الصور، وبعث الخلائق للحساب يوم القيامة.

المعنى الشرعي للبرزخ قد ذكر في قول الله تعالى: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) المؤمنون ١٠٠، بالإضافة إلى قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ).

وفيما يلي بيان بعض الأمور التي تحصل للميت أثناء الحياة البرزخية كما أثبتها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة:

مرحلة سؤال الملكين:

بمجرد أن تخرج روح الميت من جسده ويدخل في قبره فإنه يدخل في حياة البرزخ، وقد ثبتت تلك المرحلة من الحياة البرزخية في العديد من النصوص النبوية الصحيحة، منها ما جاء من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا

وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعَدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجْلِ، لِمَحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. قَالَ قَتَادَةُ وَذَكَرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَخُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ، قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجْلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرِيَّةَ وَلَا تَلِيَّةَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً، يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ).

(يسمع الصيحة كل الخلائق ما عدا الثقلين (الإنس والجن))

** حديث خروج الروح وصعودها ثم نزولها في الجسد ثم سؤال الملكين

قال صلى الله عليه وسلم بعدما أمر أصحابه أن يستعينوا بالله من عذاب القبر: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم كفن من الجنة، وحنوط من الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه، ويقول: يا أيتها النفس المطمئنة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج روحه تسيل كما يسيل الماء من فيء السماء، فإذا ما أخذها لا تدعها الملائكة في يده طرفة عين، فتأخذها وتضعها في أكفان الجنة، وفي حنوط من الجنة، وتتبع لها رائحة كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض ثم تصعد بها الملائكة إلى السماء، فإذا مرت بها الملائكة على سماء من السماوات، قالت الملائكة في السماوات: لمن تكون هذه الروح الطيبة؟ فتقول الملائكة التي تشيعها: إنها روح فلان بن فلان، بأطيب أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى إذا ما انتهوا بها إلى السماء السابعة، قال الله جل وعلا: اكتبوا روح عبدي في عليين، ثم أعيدوها إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، ويأتيه في قبره ملكان فيجلسانه ويسألانه، فيقولان له: من ربك؟

فيقول: ربي الله

ما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام

ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيقولان له: وما علمك؟

فيقول: "قرأت كتاب الله جل وعلا فأمنت به وصدقت. فينادي مناد: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، يأتيه من روحها وطيبها".

ثم يقول صلى الله عليه وسلم: (ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، فيقول: من أنت؟ لا يأتي وجهك هذا إلا بخير، فيقول: أبشرك.. فأنا عمك الصالح، وهذا يومك الذي كنت توعده، فينادي العبد على الله جل وعلا ويقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة.. حتى أرجع لأهلي ومالي).

أما العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا، جاءت ملائكة سود الوجوه معهم مسوح، -ليف من النار والعياذ بالله- فيجلسون عند رأسه، فإذا جاءه ملك الموت قال: يا أيتها النفس الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتنتزع روحه كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول، -أي: الحديد الصلب- فلا تدعها الملائكة في يده طرفة عين، وتلفها في هذا المسوح من النار، وإذا ما أرادوا أن يصعدوا بها إلى السماء انبعثت لها رائحة كأنتن ريح جيفة على وجه الأرض، ولا تفتح لها أبواب السماء، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف: ٤٠]، ثم ينادي الحق جل وعلا: اكتبوا روح عبدي في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه أرضاً، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم قول الله جل وعلا: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج: ٣١].

وتعاد روحه إلى جسده في القبر، ويجلسه الملكان، ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري.

ما دينك؟

فيقول: هاه هاه! لا أدري

ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فيقول: هاه هاه! لا أدري

فيقولان: لا دريت ولا تليت

ثم ينادي منادٍ: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من سمومها -والعياذ بالله- ويضيق عليه قبره فتختلف أضلاعه -والعياذ بالله- ويأتيه رجل شديد سواد الوجه، نتن الرائحة، فيقول: من أنت؟ لا يأتي وجهك هذا إلا بشر، فيقول: أنا عمك السيئ، وهذا يومك الذي كنت توعد، فيقول العبد: رب لا تُقِمِ السَّاعَةَ).

نعيم القبر وعذابه للروح والجسد أم للروح فقط؟!

أما عن كيفية عذاب القبر وهل يقع على الروح والجسد، أم يقع على الجسد فقط أم على الروح فقط؟ فقد اختلف العلماء في ذلك على عدة آراء، وفيما يلي بيان ذلك:

يرى الإمام الغزالي وابن هبيرة أن النعيم والعذاب في مرحلة الحياة البرزخية يقع على الروح فقط، فلا يشعر جسد الميت ولا يتأثر بذلك العذاب أو النعيم إطلاقاً، بل إن ذلك لا يتعدى كونه شعوراً باللذة أو العذاب، وقد مثل أصحاب هذا الرأي لقولهم بالنائم يرى حلماً مزعجاً فيشعر بالعذاب والألم في حين أن جسده لا يتغير عليه شيء أبداً، أو يرى حلماً مليئاً بالملذات فيتنعم ويسعد.

ذهب غالبية علماء أهل السنة والجماعة إلى القول إنَّ العذاب والنعيم في أثناء حياة البرزخ إنّما يقع على جسد الميت وروحه، فيتأثر الجسد بالعذاب، وتتألم الروح منه، أو يتأثر بالنعيم وتُسعد الروح به، وهو بذلك كالحَي المستيقظ في الدنيا يشعر بالعذاب ويتأثر به جسده، ويشعر بالنعيم ويتأثر به جسده إيجاباً .

يرى الإمام النووي من علماء الشافعية أنّ النعيم والعذاب في هذه المرحلة إنّما يكون للجسد بعد أن تعود إليه الروح، سواء كان الجسد كاملاً، أو ناقصاً، كمن فقد أحد أعضائه قبل موته، أو مات بكارثة شتتت جسده، كحريقٍ أو حادثٍ أو ما شابه ذلك.

يرى الإمام ابن جرير الطبري أنّ العذاب والنعيم في هذه المرحلة إنّما يكون على جسد الميت فقط، حيث يرى أن الميت لا تُردّ إليه الروح، فيتأثر جسد الميت بعذاب القبر ونعيمه، ويشعر به كما لو كان حياً، دون أن تُردّ روحه إليه.
وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه أمر واجب، والتصديق به أمر لازم، ولقد تواترت الأخبار من نبينا المختار صلى الله عليه وسلم على ثبوت ذلك، وكفانا دليلاً على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، ولما لم يلحد جلس الرسول صلى الله عليه وسلم، وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم رأسه ونظر إلى أصحابه من حوله، وقال: يا إخواني! يا أصحابي! استعينوا بالله من عذاب القبر، استعينوا بالله من عذاب القبر)، قالها صلى الله عليه وسلم مرتين أو ثلاثاً، وكان بيده صلى الله عليه وسلم عود ينكت به الأرض.

الوقت في حياة البرزخ

إن الزمن بالنسبة للميت يمر سريعاً فلا يشعر بمرور الوقت؛ لأن الزمن عنده يصير مختلفاً، ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصة رجل أماته الله مائة عام ثم أحياه، فلم يدرك مرورها، وظن أنها يوماً أو بعض يوم.

يقول الله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا^ط فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ^ط قَالَ كَمْ لَبِثْتُ^ط قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ^ط....." (259) البقرة

وفي حديث الله عن الساعة (يوم القيامة) رداً على من سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها قال الله تعالى: "فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا كَانَتْهُم يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا". (النازعات (٤٢))

فالله تعالى فقط هو الذي يعرف متى تقوم الساعة، وعندما يقوم الناس من قبورهم يظنون أنهم مكثوا قَدْرَ وَقْتِ الْعَشِيَّةِ - من زوال الشمس إلى العتمة (أول الظلام)، أو وقت الضحى وهو من شروق الشمس إلى الظهر، وكل ذلك يدل على أن شعورهم بالوقت وبمروره غير مُدْرَك بالحسابات الزمنية للأحياء.

الفصل الثالث

مرحلة الحياة الثالثة – حياة الآخرة

مراحل البعث والحساب

موعد القيامة

القيامة هو يوم عظيم جاء ذكر مراحلها ومشاهده في القرآن الكريم دون معرفة وقت حدوثه، وهي من حكم الله عز وجل وعلمه الذي أخفى مواعده عن سائر البشر كي يبقى الإنسان يعمل لهذا اليوم ويكون مستعداً له في أي وقت.

وجاء ليوم القيامة عدة أسماء ذكرت في القرآن الكريم؛ كالقارعة، والطامة، والصاخة، واليوم الآخر، وهو ركن من أركان الإيمان.

النفخ في الصور:

يأمر الله عز وجل الملك إسرأفيل عليه السلام بالنفخ في الصور النفخة الأولى، فتنشق السماء وتتفتت الأرض، وتزول الجبال، وتتصادم النجوم؛ فيضطرب نظام الكون، وتفزع المخلوقات جميعها من أهوال المشاهد، ثم يأمر الله عز وجل الملك إسرأفيل عليه السلام بالنفخ في الصور النفخة الثانية فتهلك جميع الأحياء. قال تعالى: "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون". (٦٨) - الزمر

البعث من القبور:

البعث من القبور يأتي هذا المشهد بعد انتهاء الكون وموت جميع المخلوقات، فيأمر الله تبارك وتعالى الملك إسرأفيل عليه السلام بالنفخ في الصور النفخة الثالثة، ويبعث الله تبارك وتعالى الموتى من القبور ويجمع جميع أجزائهم بعدما تفرقت، ويعيد إليهم أرواحهم.

قال تعالى: "زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ وَذَلِكُمْ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ". (7) التغابن

أرض المحشر:

قال تعالى: "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار". ٤٨ سورة إبراهيم

سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: هم في الظلّة دون الجسر.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ ، كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ .

الحشر هو جمع الخلائق (الملائكة والإنس والجن والحيوانات) للحساب، فيحشرهم الله عز وجل على أرض مستوية حفاة عراة وكل مخلوق مشغول بأحواله، وهو موقف طويل يشتد على الناس حتى يتصبّب منهم العرق، ولكن الله عز وجل يخففه على عباده المؤمنين ويكون سهلاً عليهم.

مدة اليوم وطوله:

قال تعالى: "ويوم عند ربك كآلف سنة مما تعدون".

حال الخلائق:

العرض والسؤال وهو الوقوف بين يديّ الله تبارك وتعالى، فيعرض الناس على ربهم صفّاً صفّاً، ثم يسألهم الله عز وجل عن جميع أعمالهم ويحكم بينهم بالعدل، منهم من يأخذ كتابه بيمينه وهو المؤمن الطائع الذي يفرح بأعماله الصالحة ويتباهى فيها، ومن الناس من يأخذ كتابه بشماله وهو الكافر الذي يحزن ويستاء لأعماله السيئة ويتمنى أنّه لم يرها.

الحساب والميزان:

قال تعالى: "والسمااء رفعها ووضع الميزان* ألا تطغوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان".

في هذه المرحلة يبدأ حساب الله تعالى للعباد فيُعلمهم ما عملوا في الدنيا وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وسمعهم وأبصارهم وألسنتهم وكافة جوارحهم، ثم ينصب الله تعالى ميزان ذو كفتين وتوضع الأعمال الصالحة في كفة والأعمال السيئة في الكفة الأخرى، ليكون الجزاء بمقدارها، فمن صلحت أعماله ثقلت موازينه وكان من الناجيين، ومن ساءت أعماله خفت موازينه وكان من الهالكين.

الصراط:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف، أي مزلة، أي لا تثبت عليه قدم، بل تزل عنه إلا من يثبتته الله، عليه كلاليب من نار،

يخطف بها، فيهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمر كالبرق، فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كرمل الرجل، ثم كمشي الرجل، ثم يكون آخرهم إنساناً رجل قد لوحته النار، ولقي فيها شراً، حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته".

وفي رواية أبي سعيد عند البخاري قال صلى الله عليه وسلم: "فناج مسلم، ومخدوش، ومكدوس في نار جهنم".

الحوض:

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد النجوم، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل" ...

هو مكان عظيم مليء بالماء الذي يأتي من نهر الكوثر في الجنة، يكرم الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليسقي منه المؤمنين بعد التعب الذي شهده من أهوال يوم القيامة، وأول من يشرب منه هو سيدنا محمد ثم تأتي أمته فيشربوا منه ما عدا الذين انحرفوا عن هدي نبينا محمد فإنّ الملائكة عليهم السلام يطردونهم، كما يتساءل الرسول الكريم عن سبب طرد الملائكة لهم فيجيبونه: (إنك لا تدري ماذا أحدثوا من بعدك) فيقول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (سحفاً سحفاً لمن غير من بعدي).

أخذ الكتب وصحائف الأعمال يوم القيامة

اختُلف متى إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها:

فقيل: إتيان العباد كتبهم إنما يكون في أول الحساب.

وقيل: هو آخر مشاهد يوم الحساب.

والأظهر - والله أعلم - (الأول)، ويدل على ذلك: قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧-٨).

ووجه الدلالة: أن الله - تعالى - ذكر إتيانهم الكتاب أولاً، ثم عقب بحرف الفاء، فقال: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ فذكر الحساب والفاء تقتضي الترتيب، والتعقيب.

وقال أيضاً: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الأسراء: ١٣-١٥]، فبدأ بنشر الكتاب، ثم أمر بالقراءة، وأنه سيحاسب، والقراءة هنا تشمل كل إنسان وإن كان أمياً، وهذه الكتب لإقامة الحجة على العباد، فنتطير الصحف، وتنشر الدواوين - والله المستعان -؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠).

أخذ الكتاب باليمين أو الشمال

الناس يتفاوتون في أخذهم الكتاب فأخذ كتابه بيمينه وهو المؤمن، وأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره وهو الكافر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧-١٢).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ * خُدُوهُ فَعُلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة: ١٩-٣٣).

والمجرمون مشفقون - كما تقدّم - مما في هذا الكتاب؛ لأنه لا يغادر شيئاً، إلا وهو مكتوب. قال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۗ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَٰضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

وصف الجنة ونعيمها:

الجنة هي دارُ الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعدّه الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيمٌ كاملٌ، فالجنة دارُ الحُسنى والزيادة، أعدّها الله تعالى لعباده المؤمنين، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، فيها من النعيم المقيم الأبدى ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال عنها خالقها جلّ وعلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وهي البشارةُ الطيبةُ لعباده المتقين، (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَرَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ) [الدخان: ٥١-٥٥].

وهي دارُ الحبورِ والسُرورِ المقيم، (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ) [الزخرف: ٧٠-٧٣].

أهل الجنة لهم ما يشاءون فيها

قد تواترت الأدلة على أن الإنسان لا يتمنى شيئاً في الجنة إلا حققه الله له، وأنه سيعطيه الله تعالى فوق طموحاته وأمانيه، فقد قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا

مَسْنُؤًا {الفرقان: ١٦} وقال جل وعلا: وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ {فصلت: ٣١}.

قال ابن كثير في تفسيره: لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ " من الملاذ، من مآكل، ومشارب، وملابس، ومسكن، ومراكب، ومناظر، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد. اهـ

وفي فتح القدير: لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ أي: لهم في الجنات ما تقع عليهم مشيئتهم صفوا عفوا يحصل لهم بمجرد ذلك. اهـ

ومن أسمائها: أَنَّهَا دَارُ الْخَلْدِ، وَدَارُ الْمَقَامَةِ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، وَجَنَاتُ عَدْنٍ، وَجَنَاتُ النَّعِيمِ، وَدَارُ السَّلَامِ، وَالْمَقَامُ الْأَمِينُ.

سعة الجنة قال تعالى في سعتها: "وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: ١٣٣]"

وأما بناؤها: فهي " لبننة من فضة، ولبننة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحبها اللؤلؤ والياقوت، وتربثها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم".

وأما أبوابها: فهي ثمانية أبواب، قال -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ".

وأما درجاتها: فيقول -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة مائة درجة، أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، كلُّ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتن الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أنهار الجنة".

وأما أنهارها فهي أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ونهر الكوثر، سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما الكوثر؟ قال: "ذاك نهر أعطانيه الله -يعني في الجنة- أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجُرر".

ومنها: قوله في أنهارها وثمارها: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ [الرعد: ٣٥].

وقوله تعالى: **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ [محمد: ١٥].**

وأما أشجارها: ففيها " .. شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ، لا يقطعُها، واقرءوا إن شئتم: (وَظِلٌّ مَمْدُودٌ) " وإن أشجارها دائمةُ العطاءِ قريبةٌ دانيةٌ مذلَّةٌ.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب. صححه الألباني.

وأما خيامها: ف"للمؤمن في الجنة لخيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولها في السماء ستونَ ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوفُ عليهم فلا يرى بعضهم بعضاً".

وأما أهل الجنة: فهم " .. جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلَى لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم"، وأول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومباخرهم من البخور.

وأما نسائها: ف"لو أن امرأةً من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها -يعني الخمار- خيرٌ من الدنيا وما فيها".

وأول من يدخلها: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال عليه الصلاة والسلام: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأسْتَفْتِحُ، فيقول الخازن: مَنْ أَنْتَ؟، فأقول: مُحَمَّدٌ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ".

وقال أيضاً -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفَلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ".

وأما قوَّة أهل الجنة: فيقول -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسُ محمدٍ بيده إنَّ أحدهم -يعني أهل الجنة- ليُعْطَى قوَّةَ مئةِ رجلٍ في الأكل والشرب والجماع والشهوة، تكونُ حاجةُ أحدهم رَشْحًا يفيضُ مِنْ جلودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ فَيَضُمُّ بَطْنَهُ".

أما خدم أهل الجنة: فهم الولدانُ المخلدون، (ويطوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنْشُورًا) [الإنسان: ١٩]، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، ينتشرون في قضاء حوائج السادة.

وأما سوق أهل الجنة: فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ریح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم فيقولون لهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً".

رؤية وجه الله الكريم

ومن أعظم نعيم أهل الجنة رؤية وجه الله الكريم: وصدق الله العظيم (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو ألم يُنقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم منه".

وفي رواية أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: "أجل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً".

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يُذَوِّفُونَ فِيهَا الْمَوْتِ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ) [الدخان: ٥١-٥٧].

الخلود

أهل الجنة يبقون خالدين فيها أبداً: يقول -صلى الله عليه وسلم-: "إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً. وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قول الله عز وجل: (وَتُؤَدُّوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأعراف: ٤٣]".

نضرة الوجوه

أهل الجنة في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم، جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمير والعسل محفوفة بالغلان والولدان.

وصف الحور العين

الجنة مزينة بالحور العين، وهن من الخيرات الحسان، كأنهن الياقوت والمرجان، لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان، يمشين في درجات الجنان.

إذا اختالت إحداهن في مشيها حملَ أعطافها سبعون ألفاً من الولدان، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصارُ مكلاتٌ بالتيجانِ المرصعة باللؤلؤ والمرجانِ شكلاتٌ غنجانٌ عتراتٌ أمناثٌ من الهرم والبؤس، مقصوراتٌ في الخيامِ في قصورٍ من الياقوتِ بُنيثٍ ووسطِ روضاتِ الجنانِ، قاصراتُ الطرفِ عين، ثمَّ يُطافُ عليهم وعليهنَّ بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معينٍ بيضاء لذة للشاربين، ويطوفُ عليهم خدامٌ وولدانٌ كأمثالِ اللؤلؤ المكنونِ جزاءً بما كانوا يعملون.

وجاء في مساكنها:

عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن.

وجاء في خلودهم ودوام نعيمهم وصحتهم وجمالهم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: **والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً.**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: **وَتُؤَدُّوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {الأعراف: ٤٣}**

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا ينقلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة الألنوج عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً.

وروى البزار والطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن جابر قال: قيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: لا؛ النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا يموتون، ولا ينامون.

النار:

بعد الحساب وأخذ الكتاب بالشمال والسير على الصراط هناك من يسقط في نار جهنم، ومن تتبّع نصوص القرآن والسنة والآثار الصحيحة نجد أسماء النار و أوصافها وأهلها، وأنواع العذاب فيها، وبيان ذلك فيما يلي:

أسمائها:

١ - النار: قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

٢ - جهنم: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣].

٣ - لظى: قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴾ [المعارج: ١٥ - ١٦].

٤ - سقر: قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٨].

٥ - الحطمة: قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ﴾ [الهمزة: ٤ - ٦].

٦ - الجحيم: قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِّلْمُتَّقِينَ * وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِّلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠ - ٩١].

٧ - السعير: قال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

٨ - الهاوية: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٨ - ١١]، وعن عبدالله بن مسعود - موقوفاً - قال: "القتل في سبيل الله يُكفِّر الذنوب كلها إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة - وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فيقال له: ادِّ أمانتك، فيقول: أي رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به إلى الهاوية، فيذهب به إليها، وتُمثل له أمانته، فيجدها كهبيئتها يوم دُفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى ينتهي إلى قعرها، فيأخذها فيحملها على عاتقه، ثم يصعد بها في نار جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرَجَ بها زَلَّتْ فَهَوَتْ، فهو في أثرها أبد الأبدين".

أوصاف نار جهنم:

سعتها: عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" ق (٣٠))

حتى يضع ربُّ العزّة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط، بعزتك وكرمك.

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري؛ حدّثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: ((على جسر جهنم)).

٢- قعرها: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها)).

٣- دركاتها

وكما أن الجنة درجات ومنازل فإن النار دركات مختلفة، بحسب إجماع أهلها، وأعمالهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (النساء: ١٤٥) فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار لِعَلَّظِ إِيذَائِهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَلَّظِ كُفْرَهُمْ وَمَكْرَهُمْ.

٣- حرّها:

حر الدنيا فإنه يتقى، فقد مد الله لعباده الظل يقيهم الحر، ورزقهم الماء يرويه من العطش، وأوجد لهم الهواء والريح الكريمة تلطّف وتهون من شدة الفيج.

أما في جهنم؛ فإن هذه الثلاثة تنقلب عذاباً على أهلها فالهواء سموم، والظل يحموم والماء حميم. إن نار جهنم في حرها ليست كنار الدنيا التي نعلم، ولكن الأمر ليس كذلك فهي أشد فيحاً. وإنما نار الدنيا جزء قليل من جهنم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من جهنم قالوا يا رسول الله وإن كانت لكافية قال: فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً" [البخاري ومسلم]

٤- ظلها: قال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣١]، وقال سبحانه: ﴿وِظِلٌّ مِنْ يُحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣ - ٤٤].

٥- ريحها: قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢]. أنفاسهم من ريح سموم حارة لا تطاق.

٦- ماؤها: شرابهم من ماء حميم تتقطع منه الأمعاء، وظلمهم الدخان الأسود الخانق يكسوهم الغم ولا يرون برد الراحة والنعيم.

٦- وقودها: قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال في قوله عز وجل: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤]، قال: "حجارة من كبريت، خلقها الله عنده كما شاء".

٧- شررها: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ [المرسلات: ٣٢].

٨- صوتها: قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال: ﴿ إِذَا أُلْفُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [الملك: ٧].

٩- خزنتها: قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

١٠- أبوابها: قال تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٤].

• مكانها: في السماء؛ عن حذيفة بن اليمان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أُتِيتُ بالبُرَاقِ، وهو دابةٌ أبيضٌ طويلٌ يضع حافرَه عند منتهى طرفه، فلم نُزَابل ظهره أنا وجبريلُ حتى أُتِيتُ بيت المقدس، ففتحت لنا أبواب السماء، ورأيتُ الجنة والنار)).

مجيئها وكبر حجمها:

قال تعالى: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ [الفجر: ٢٣].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((... ينادي منادٍ فيقول: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، قال: فيذهب أهل الصليب مع صليبيهم، وأهل الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، ويبقى من يعبد الله من برّ وفاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تُعرض كأنها سراب)).

حال الناس يومئذ:

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٦٨].

وعن كعب - موقوفًا - قال النبي (ص) لعمر بن الخطاب: "إِنَّ لجهنم يوم القيامة لزفرةً، ما من مَلَكٍ مقَرَّبٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ، إلا خَرَّ لركبتيه، حتى إنَّ إبراهيم خليلَ الله ليقول: رب! نفسي نفسي، حتى لو كان لك عمل سبعين نبيًّا إلى عمك لظننت ألا تنجو".

كيفية دخول الظالمين فيها:

١ - **الدفع الشديد:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: ١٣]، وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فيحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يحطّم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار))؛ صحيح الجامع.

٢ - السحب في النار:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]

جاء في الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ".... فيُرْسَلُ إليهم أن ادخلوا النار؛ فَمَنْ دَخَلَهَا كانت عليه بردًا وسلامًا، وَمَنْ لم يدخلها سحب إليها))؛ صحيح الجامع.

حال الظالمين وعذابهم في جهنم:

١ - **أهونهم عذابًا:** عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: مَنْ له نعلان وشراكان من نارٍ يغلي منهما دماغه؛ كما يغلي المرجل، ما يرى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ منه عَذَابًا، وإِنَّه لأهْوَنُهُم عَذَابًا))؛ متفق عليه.

٢ - **تفاوتهم في العذاب:** عن سمرة بن جندب، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَهُ النَّارُ إِلَى رِكَبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَهُ النَّارُ إِلَى حِجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَخَذَهُ النَّارُ إِلَى تَرْقَوْتِهِ))؛ صحيح مسلم.

٣ - **وجوههم:** تغشاها ظلمة وسواد، وذلّة وهوان؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَزْهَفُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧].

٤ - **أحجامهم:** يغيّر الله خِلْقَةَ أَهْلِ النَّارِ بِشَكْلِ يَنْتَاسِبُ مَعَ عَذَابِهِمْ؛ عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمَسْرِعِ))؛ صحيح البخاري.

٥ - **جلودهم:** غليظة ليزداد الإحساس بالألم، كلما نَضِجَتْ بُدِّلَتْ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَزِيْرًا حَكِيْمًا ﴿ [النساء: ٥٦]، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلَ (جَبَلٍ) أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةَ))؛ صحيح الترمذي - (ارتفاع أُحُد ١٠٧٧م، والمسافة بين مكة والمدينة حوالي ٤٥٠ كم).

٦ - لباسهم: قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [الحج: ١٩]، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وعن أبي مالك الأشعري، أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((النائحة إذا لم تثب قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطران، ودرعٌ من جرب))؛ صحيح مسلم.

٧ - طعامهم وشرابهم: يختلف باختلاف منازلهم في النار، وعلى كلِّ حال فهو كَرِيه المذاق، وحميم لا يُطاق، شديد المرارة في غاية الحرارة، مُنتن الريح وصدید من الدم والقيح، ذُكر لنا من ذلك:

• الزقوم: قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ثم قال: لو أَنَّ قِطْرَةً مِنْ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيْشَتَهُمْ، فكيف بمن هو طعامه؟ وليس له طعام غيره؟؛ صحيح الترمذي.

• الضريع: قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧]، والضريع جنس من الشوك كبير، يقال له: الشبرق إذا كان رطبًا، والضريع إذا يبس، وهو سُمٌّ.

• الغسلين: قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٦]؛ قال البخاري: كل شيء غسلته فخرج منه شيء، فهو غسَلين، من الجرح والدُّبُر.

• الحميم: قال سبحانه: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]، والحميم هو ما اشتدَّ حرُّه، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَسْتَنْغِثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]، قال ابن عباس: ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ [الكهف: ٢٩]: أسود كمثل الزيت؛ صحيح البخاري.

• العساق: قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيُدْقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ * وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص: ٥٧ - ٥٨]، والعساق هو ما يسيل من جلود أهل النار وصدیدهم، وقيل: ماء منتن بارد.

أهل النار في عذاب دائم، فقد جعل الله في أعناقهم الأغلال والسلاسل يسحبون منها، فتزيدهم عذاباً على عذاب وخلق لهم سلاسل يسلكون فيها.

• **الأغلال:** قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]؛ قال البخاري: لا تكون الأغلال إلا في الأعناق.

• **السلاسل:** تكون في الأيدي والأرجل؛ قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١].

٩ - **كيف يتقون النار:** الناس في الدنيا يتقون ما يُصيبهم بأيديهم أو بأرجلهم، أما في النار فبوجوههم؛ لأن أطرافهم مغلولة؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤].

١٠ - **فِرَاشُهُمْ وَغِطَاؤُهُمْ:** قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

١١ - سجنهم:

• **الحفر الضيقة:** قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار))؛ صحيح البخاري.

١٢ - **إرهاقهم:** قال تعالى: ﴿سَأْرَهُنَّ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

١٣ - **تَلَاَعْنُهُمْ فِيهَا:** يسبُّ بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم البعض؛ قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هُوَ لَاءٍ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

١٤ - **نَفْسُهُمْ:** عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان في هذا المسجد مائة ألفٍ أو يزيدون، وفيه رجل من أهل النار، فتنفَسَ فأصابهم نفسُه، لا حترق المسجدُ ومن فيه).

١٥ - تَسْلِيْطُ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَّارِبِ عَلَيْهِمْ: عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ؛ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمَوْتَهَا أَرْبَعِينَ حَرِيْفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَّارِبَ؛ كَأَمْثَالِ الْبَغَالِ الْمُوَكَّفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمَوْتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً))؛ صحيح الترغيب والترهيب.

١٦ - تَسْلِيْطُ الْحَشْرَاتِ عَلَيْهِمْ: عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الذَّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ، إِلَّا النَّحْلَ))؛ صحيح الجامع.

١٧ - تَسْلِيْطُ الْهُوَامِ وَالْجَرَبِ عَلَيْهِمْ: عن يزيد بن شجرة - موقوفًا - قال: "إِنَّ لْجَهَنَّمَ لْجُبَابًا، وَإِنَّ فِي كُلِّ جُبِّ سَاحِلًا كَسَاحِلِ الْبَحْرِ، فِيهِ هَوَامٌّ وَحَيَّاتٌ كَالْبَحَّاتِي، وَعَقَّارِبٌ كَالْبَغَالِ الدُّلْمِ، فَإِذَا سَأَلَ أَهْلَ النَّارِ التَّخْفِيفَ قِيلَ: أَخْرِجُوا إِلَى السَّاحِلِ، فَتَأْخُذُهُمْ تِلْكَ الْهُوَامُ بِشَفَاهِمِمْ وَجُنُوبِهِمْ وَمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَكْشِطُهَا، فَيَرْجِعُونَ، فَيَبَادِرُونَ إِلَى مَعْظَمِ النَّيْرَانِ، وَيَسْلُطُ عَلَيْهِمُ الْجَرَبُ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لِيَحْكُ جِلْدَهُ حَتَّى يَبْدُو الْعِظْمُ، فَيَقَالُ: يَا فُلَانُ! هَلْ يُوْذِيكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لَهُ: ذَلِكَ بِمَا كُنْتَ تُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ!" صحيح الترغيب والترهيب.

١٨ - ضَرْبُهُمْ بِالْمَقَامِعِ: قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١]، وعن عمر رضي الله عنه قال: "أَكْثَرُوا ذِكْرَ النَّارِ، فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ، وَإِنَّ قَعْرَهَا بَعِيدٌ، وَإِنَّ مَقَامِعَهَا حَدِيدٌ"؛ صحيح الترمذي. والمقامع هي: المَطَّارِقُ أَوْ السِّيَاطُ.

١٩ - خُرُوجُ أَمْعَانِهِمْ مِنْ مَوْضِعِهَا: عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحَمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ! مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ))؛ رواه الشيخان.

٢٠ - بَعْضُ أَنْوَاعِ عَذَابِهِمْ: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ، يَهْوِي فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُومٍ فَسُومُهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ مَتَعَمَدًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا)؛ صحيح الجامع.

٢١ - تَنْوِيعُ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ: قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيُدْوِقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ﴾ [ص: ٥٨].

٢٢ - إِهَانَتُهُمْ: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الحج: ٥٧].

٢٣ - بُكَأُوهُمْ: قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أهل النار ليبكون، حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لَجَرَّتْ، وإنهم ليبكون الدم؛ يعني: مكان الدمع)؛ صحيح الجامع.

٢٤ - دوام العذاب وعدم تخفيفه عنهم: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧].

٢٥ - زيادة العذاب عليهم: قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

٢٦ - صُرَاخُهُمْ: قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

٢٧ - استغاثتهم: قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وعن عبدالله بن عمرو - موقوفًا - قال: "إنَّ أهل النار ليدعون مالگًا: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا عَلَبْنَا سِفْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦، ١٠٧]، قال: فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، ثم يبئس القوم، فما هو إلا الزفير والشهيق، تشبه أصواتهم أصوات الحمير، أولها شهيق، وآخرها زفير"؛ صحيح الترغيب والترهيب.

٢٨ - أمنيات الكفار فيها

يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابا أي: كنت حيوانا فأرجع إلى التراب فالحيوانات بعد الحساب سيأمرها الله سبحانه أن تصبح ترابًا

قال الله تعالى: "إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40) النَّبَأُ

٢٩ - تَمَنِّي الْإِفْتِدَاءِ

وإن من شدة ما يجده أهل النار من الأهوال وألوان العذاب يتمنون فدية أنفسهم بكل شيء قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران ٩١] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقُولَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة] وما ذلك إلا لعظم النكال والعذاب في تلك الدركات فلا نصير ولا منقذ ولا معين، بل إنهم يودون لو يفتدون بأبنائهم الذين من أصلابهم، قال تعالى:

{يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْفَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى} [المعارج ١١-١٦]

٣٠- الندم والاعتراف بالذنب

يقول الله تعالى: (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (يونس: ٥٤) وتزداد ندامتهم؛ إذ يتبرأ منهم الشيطان الذي أغواهم. قال تعالى: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (22)

بل يصرخون بندامتهم واعترافهم بذنبهم وقلة عقلهم، قال تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} (الملك: ١١)

من خلال العرض السابق يتبين لنا كيف تكون الحيوانات الثلاث من وجهة النظر الإسلامية، وذلك مما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة، فنرجو أن نفكر وندرك مرحتنا الأولى التي نعيش فيها الآن قبل الانتقال إلى الحياتين الأخريين.

١١ مايو ٢٠٢١

محمد شوقي القشاوي

والله الموفق